



**على هامش الإسراء والمعراج.. من تراث فضيلة المستشار حسن الهضيبي**



الاثنين 23 مارس 2020 م 11:47

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية ٩).

**«سبحان الذي أسرى يعنه ليله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي ياركتنا قوله ربنا من آياتنا الله هو أسمى البصائر»** (البسملة: ١).

**«والنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا يُوقَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْدَىٰ يُوقَىٰ عَلَمٌ شَدِيدٌ الْقَوْيٰ»** (النجم: 1-5).

قال صاحبي وهو يحاورني: أنا أؤمن بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والبدن.. ولو أن الناس فهموا أن ذلك كان بالروح فقط لما أنكر قوم على الرسول قوله، ولما كانت هذه الآيات التي تفيد اللتنقل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ ذلك أن المسلم وغير المسلم، التبر والفاجر، كل منهما يرى الرؤيا المفاجئة، وأنه انتقل من المغرب إلى المشرق فلا يعترض أحد عليه. فلو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن في الأمر معجزة، مع أن الإسراء لم يكن إلا معجزةً تحدّي بها الرسول عليه السلام الناس، فهو بالروح والبدن ﴿وَمَا جعلنا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: من الآية 60).

قال: لكن الذي حاك في صدري أن تمت هذه الرحلة في وقت قصير، دون أن يصاب الرسول فيها بأذى من هول السرعة وتقلب الأوجاء، ثم العروج إلى السماوات العلا، حيث لا توجد الأوساط المناسبة للحياة الإنسانية. ومع ذلك يعود الرسول إلى بيته حيًّا معافيًّا سليماً، لم تزده الرحلة إلا نشاطاً دبَّ فيه من جهه الله تعالى له واحتياطه بالنعمنة، وأن ذلك حاك في صدري، فلما كثرت المخترعات في العصر الحديث، وعرفت الطائرات ثم الطائرات النفاثة، وتفتيت الذرة والتليفونون "والراديو" إلى آخر ما هناك، سُئل ذلك عندي فهم الأمر الذي لم أكُن أفهم، وإن كنت أعترف بأن هذا ليس كذلك.

قلت لصاحبِي: إن هذا ليس كذلك كما تقول، وإياك أن يلتبس عليك أمر المفترعات الحديثة ومعجزات الرسل، فليست المفترعات إلا كشفاً للسنن الكونية، هدى الله العقول إليها بارادته، كما هدأهم منذ زمان إلى الزرع والسكنى والحداد والسياسة؛ مما يعتبر من البدهيات التي لا تلفت النظر لعياذنا لها وإنفنا إياها، ولو فكرنا وتدبرنا لوجدنا أن الزرع أدخل في باب الغرابة من الطائرة "والراديو"، وأما المعجزات فإنها مخالفة للسنة الكونية مخالفة تامة، ولو كانت غير ذلك لمَا كان فيها شيء من التحدي، ولا دلالة على صدق حা�صبي، والبَعْضُ أَمْثَلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَدْلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ:

- «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّ أَنِي كَيْفَ تُحْبِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَأِنِّي لَكِنْ لِي طَمَّانٌ قَلِيلٌ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرِّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزَءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (البقرة: 260). فتقطيع الطير أجزاءً يعدمه الحياة، ولم يعهد أن ما ذُبِحَ من الطير أو قُتِلَ عادَت إليه الحياة مرةً أخرى، ولكن الله تعالى أراد أن يُؤْدِي عبده ونبيه بمعجزة هي إحياء الطير الميت، واستجا به لدعائه له، وسعيه إليه، فهذه مخالفة للسنة التي سنها الله تعالى.

- - «قلنا يا تارك كونى يزدا وسلاما على ابي ابراهيم» (الأنسية: 69)، واللسنة التي خلقها الله ألا تكون النار يرداً وسلاماً، بل تكون محراقة مميتة.

- ومعجزة موسى عليه السلام هي معجزة العصا التي تصير حيّةً تسعى. غصن ميت من شجرة ينقلب حيواناً، فإذا هو يلقف ما يأفكون، وليس في سنن الكون ما يجعل العصا حيواناً، بذلك قد وقع لموسى مخالفة لهذه السنن، ولم يقبل عقل فرعون هذه المخالفة، بل قال حين آمن السحرة: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمْتُمُ  
السُّجُونَ﴾ (الشورى: ٤٩).

- «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْتُ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» (النَّبِيَّ: ٩١).. «..فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَتْ لَهَا بَشَّرًا سَوِيًّا» (١٧) قَالَتْ آنِي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا» (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَهُتَّ لَكِ غُلَامًا رَّكِيَا» (١٩) قَالَتْ آنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَمَمْسَسِنِي بَشَرٌ وَلَمْ يَكُنْ بَعْدًا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ

قال رَبُّكَ هُوَ عَلَيْهِ هِينٌ وَلَنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) (مريم)، ولو أن هذه العبارة لم تذكر في القرآن والإنجيل لما صدقها أحد مخالفتها سنة الله التي استنها لبقاء النسل على الأرض ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنْتُمْ﴾ (الحجرات: من الآية 13)، ولكن الله تعالى أراد أن يجعله آية لنا ورحمة منه فكانت إرادته.

هذا بعض ما جاء في القرآن من معجزات الرسل، وكله يسير على غير سنة ولا قاعدة ولا منطق ولا شيء مما عهده الناس أو كانوا يعهدونه أو سوف يعهدونه، وإنما هي إرادة الله الذي يستطيع وحده أن يخالف ما وضع لهذا الكون من سنن، ويضع ذلك لمن شاء.

كذلك كان الإسراء وكان المعراج مخالفين لسنن الله التي جعلها لعباده، ومن أقدر من الله على ذلك ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فسبحان الله الذي يبده ملائكة ملائكة كل شيء وإليه ترجعون (يس: 82، 83).

مقال لفضيلة المستشار حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله سبق نشره في "إخوان أون لاين" في 14 يوليو 2009 ضمن مقالات نادرة.

